منظمة
الصحة العالمية

جمعية الصحة العالمية
الدورة الاستثنائية الأولى

د إج١/ متنوعات/٦
٩ تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠٠٦
SSA1/DIV/6

الدكتورة مارغريت تشان
المديرة العامة المنتخبة

كلمة موجهة إلى الدورة الاستثنائية الأولى لجمعية الصحة العالمية
جنيف، ٩ تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠٠٦

السيد الرئيس، معالي الوزراء، المندوبون الموقرون، سيداتي وسادتي،

في هذه اللحظات، وإذ يغمرني شعور بالغ بالفخر والاعتزاز، لا يسعني أيضاً إلا أن أدرك المسؤولية الكبرى التي أنيطت بي، وهي مسؤولية لا يمكن أن أستخفّ بها. فبعد أن كنت أشعر على الدوام باعتزازي بالعمل في مجال الصحة، وبصفة خاصة العمل في منظمة الصحة العالمية، سيكون من دواعي فخري أيضاً تسنّم قيادة المنظمة التي لها أثر مباشر في صحة البشر. وذلك هو مصدر قوة هذه المنظمة، وسر عظمتها. والعمل الذي نقوم به معاً عمل يرمي لإنقاذ الأرواح وتخفيف المعاناة. وسأتعاون معكم دون كلل حتى ينعم هذا العالم بموفور الصحة.

وكما ذكرت بالأمس، فإن هذه اللحظات هي أيضاً مناسبة لنقف وقفة تأمل وإجلال. ذلك أننا مجتمعون في هذا المكان بسبب وفاة الدكتور جونغ – ووك لي التي جاءت سابقة لأوانها. ونحن موجودون هنا أيضاً بسبب ملايين الوفيات وهي أيضاً كثيراً ما تكون سابقة لأوانها. وأنا أعلم بأن الدكتور لي كان يود مني أن أقول ذلك لو كان على قيد الحياة. وستظل مبادرته "٣ في ٥" في أذهاننا وهذه المبادرة كانت ترمي إلى توقي الوفيات المبكرة على أوسع نطاق ممكن.

وأنا أشعر باعتزازي بخدمة منظمة الصحة العالمية فهي منظمة ما انفك الناس يعترفون بما تقوم به، بل وبما تقوله أيضاً. وهي منظمة تقيس انجازاتها بما تقوم به من عمل جيد وبما تحققه من نتائج جيدة - وليست العبرة في هذا الصدد بعدد التقارير والاجتماعات. وهي منظمة أشرعت أبوابها أمام الدول الأعضاء لمراقبتها ورصد ما تقوم به بصورة لم يسبق مثيلها. وهي منظمة آلت على نفسها أن لا تقنع بغير التميز التقني. وهو الميراث الذي تركته أعمال الدكتور لي وأعمال من سبقوه وخلفته لمن سيواصلون العمل بعده. وأرغب في أن أخص بالذكر من بين الحاضرين مديرنا العام الفخري، الدكتور ماهلر. وأنا ملتزمة التزاماً راسخاً بالعمل على الحفاظ على ذلك الميراث.

سيدي الرئيس،

لقد استمع أعضاء المجلس التنفيذي لبيان رؤيتي فيما يتعلق بمنظمة الصحة العالمية، وهناك من لم يطلعوا عليها. وأود أن أنقل إليهم في هذه المناسبة رؤيتي لما يتعين علينا عمله، لمواطن قوتها الكبرى فيما

يتعلق بإنجاز تلك الأنشطة وللتحديات الضخمة الماثلة أمامنا. ولتلك التحديات أهميـة خاصـة. وتلـك هـي المجالات التي يجب أن تقاس من خلالها كفاية ما نتوصل إليه من نتائج.

وأنا جد متفائلة بشأن المستقبل. ولكنني عملت أيضاً طوال ثلاثين عاماً في مجال الصحة العموميـة، وبالتالي فليس لدي أي أوهام. فنجاحنا في منح الصحة موقعاً مركزياً في جدول أعمال التنميـة يتـيح أمامنـا فرصاً جديدة، ولكنه يزيد أيضاً من مدى تعقد ما نقوم به من عمل. ولقد خطونا خطوات عملاقة فـي بعـض المجالات، إلا أننا مازلنا نراوح مكاننا في مجالات أخرى.

ونحن في عالمنا الواحد نواجه مخاطر عالمية وأخرى محلية تتهدد الصحة. فهناك أمـراض معديـة عاودت الظهور بشكل مخيف. كما أن فيروس الأيدز والإيبولا والمتلازمة الرئوية الحادة الوخيمـة وأنفلـونزا الطيور لن تكون آخر المفاجئات السيئة التي يتحفنا بها عالم الجراثيم الذي لا يبقى على حال.

وسيتعين علي - شأني شأن الآخرين الذين سبقوني في هذا المنصب – وأنا أتسلم مقاليد قيادة المنظمة تدبير ثلاث من فئات القضايا الرئيسية: القضايا التقنية والإدارية والسياسية. ولا يسعني وأنا أقـوم بـذلك إلا التخلي عن بصمتي الشخصية وهذا ما أراه سيكون: فأنا عاقدة العزم على تحقيق نتائج من أجل الصحة. وإنني لا أشك في قدرتنا على القيام بذلك. ولكن يجب علينا أن نتسلح بالذكاء عند وضعنا للخطط وتحديد الأولويات، وأن نتحلى بالحكمة لدى وضع أنشطتنا موضع التنفيذ. فالصحة ليست من الأمور التجريدية علـى الـصعيدين العالمي والوطني، وإنما هي حقيقة ملموسة تعني كل فرد وأسرة ومجتمع.

لذا سأكون واضحة بشأن النتائج التي تهمنا أكثر من غيرها. فتقليص عبء المراضة قـضية هامـة. وتحسين قوى النظم الصحية قضية هامة. كما أن الحد من تهديدات عوامل الاختطار قضية هامة. وكل هـذه القضايا أمور حيوية. ولكن ما يهمني بالدرجة الأولى هم الناس أنفسهم. وأخص بالذكر منهم فئتين اثنتين. وأنا أريد أن يحكم الغير على أعمالنا تبعاً للأثر الذي ستحدثه في صحة الناس في أفريقيا، وصحة النساء.

إن كل الأقاليم وكل البلدان وجميع الناس متساوون في الأهمية. فمنظمتنا وجدت لخدمة العالم برمتـه. ويجب أن تؤثر أنشطتنا في حياة كل فرد أينما كان. ولكن علينا أن نركّز اهتمامنا على أشد النـاس احتياجـاً. وشعوب أفريقيا تتحمل عبئاً فادحاً ومفرطاً بسبب المرض والوفيات المبكرة. لذا فإن حياة الناس فـي أفريقيـا يجب أن تصبح مؤشراً أساسياً على أداء منظمة الصحة العالمية.

وصحة المرأة يجب أن تكون المؤشر الأساسي الآخر - وأنا لا أقصد بذلك صـحة الأمهـات فقـط. فالمرأة لا تقتصر على إنجاب الأطفال فقط. ومما يؤسف له هو أن أنشطتها في الأسرة والمجتمع، إلى جانـب وضعها الاجتماعي المتدني، يجعل منها أكثر عرضة للمشكلات الصحية - بدءاً بتلوث الهواء داخـل البيـوت والأمراض المعدية المتعددة، ووصولاً إلى العنف. غير أن هناك الكثير من البراهين المتأتية تـشير إلـى أن المرأة يمكنها أن تكون أحد عوامل التغيير – وذلك سواء أكان الأمـر يتعلـق بالأسـرة أم بـالقوة العاملـة أم بالمجتمعات برمتها. وصحة الأطفال تعتمد إلى حد كبير على صحة النساء، سواء أكن أمهـات أم أخـوات أم عمات أم خالات أم جدات ضمن البيت. أم كن من مقدمي خدمات الرعاية أو معلمات أو عاملات صـحيات في المجتمع. وأنا أمثل كلاً من هؤلاء النسوة إلا أنني لم أصبح جدة بعد!

ومن شأن تحسين صحة المرأة وتزويدها بالوسائل الكفيلة بإعمال حقوقها أن يحدث زيادة هائلة فـي تعزيز السلوكيات الصحية – وذلك في أكثر المجالات أهمية على الإطلاق.

وللناس قدر عظيم وعلينا التركيز عليهم. ولهذا السبب، كما أرى، يبدأ دستور منظمة الصحة العالمية بهذا البيان الواضح - "التمتع بأعلى مستوى من الصحة يمكن بلوغه هو أحد الحقوق الأساسية لكل إنسان". ولهذا السبب أيضاً يؤكد الدستور على الروابط القائمة بين الصحة والسعادة وعلاقات الانسجام والأمن.

وتحسين صحة الناس في أفريقيا وصحة المرأة هما مؤشران رئيسيان على أداء منظمة الصحة العالمية. ولن تكون لالتزامنا بتحقيق النتائج أهمية إلا إذا استطعنا توضيح الأثر الذي سيحدثه لدى هاتين الفئتين من الناس.

سيدي الرئيس،

إن تحقيق هذه النتائج الصحية يتطلب التصدي لستة من القضايا الجوهرية هي: التنمية الصحية، والأمن، والقدرات، والمعلومات والمعرفة، والشراكة، والأداء.

وتتعلق القضيتان الأوليان بالمتطلبات الأساسية للتنمية الصحية، والأمن الصحي. وتقفي الفقر وانعدام الأمن كعاملين من أخطر ما يهدد عنصر "الانسجام". وعلى الرغم من وجود هذه الكلمة في صلب دستور المنظمة، إلا أننا نادراً ما نسمعها هذه الأيام. وإنني أود أن تستخدم هذه الكلمة بشكل أكبر. إن الانسجام هو أحد المعايير التي تُقاس بها المدنية والحضارة، وترتبط الصحة ارتباطاً وثيقاً بكل من الأمن والتنمية، وبالتالي بالانسجام.

أما القضيتان التاليتان، فإنهما تمثلان نقطتين استراتيجيتين: بناء القدرات، ولاسيما تعزيز النظم الصحية، والمعلومات والمعرفة. وهذا يعني الحصول على البيئة بالشكل الصحيح، ومن ثم وضع برنامج العمل اللازم للبحوث والتطوير.

وفي ما يتعلق بالنقطتين المتبقيتين، فهما نقطتان تركزان على الأمور العملية وتتعلقان بإدارة الشراكات، وتحسين أداء المنظمة.

وتُعد هذه طريقة بسيطة للنظر والتطرق إلى عملية معقدة: فهناك مطلبان صحيان أساسيان، وهناك استراتيجيتان رئيسيتان لتلبية الاحتياجات، وأسلوبان عمليان لتحقيق النتائج في البلدان. هذه القضايا الست ترتبط مع بعضها البعض وتتفاعل في ما بينها، وهي جميعاً لا تنطوي على نفس القدر من التحديات، وهذا أمر جيد، في جانب، حيث يعيننا ذلك على شحذ الأولويات، وتحديد المجالات التي تحتاج إلى أن نستثمر طاقتنا فيها.

وتمثل التنمية الصحية لُب المرامي الإنمائية للألفية. ومن جهتي، فإنني ملتزمة التزاماً لا تلين له قناة ببلوغ هذه المرامي، ولكن دعونا لا نقصر عملية التنمية الصحية على مجرد بلوغ المرامي الإنمائية للألفية، في ما يتعلق بصحة النساء والأطفال، أو دحر الأوبئة المتمثلة في فيروس العوز المناعي البشري، والملاريا، والسل، أو زيادة فرص الحصول على الأدوية الأساسية.

ويتعين علينا أيضاً التصدي لقضايا الصحة الإنجابية، والعنف، والإصابات، والعبء المتزايد الذي تلقيه الأمراض المزمنة على كاهل عملية التنمية، وكذا أمراض القلب، والسكتة، والسرطان، والسكري، والأمراض النفسية، وغيرها. وعلينا الإسراع بوتيرة المبادرات المتعلقة بزيادة مأمونية الحمل، والتدبير المتكامل لأمراض الطفولة، والتمنيع. وسوف نعزز من جهودنا من أجل تحقيق الهدف المتمثل في جعل سبل

المعالجة والرعاية والوقاية من فيروس العوز المناعي البشري متاحة للجميع. إننا سنزيد من زخم مكافحة الملاريا والسل والأمراض المعدية المهملة، وسنكمل مسيرة استئصال شلل الأطفال، كما سنعزز من الجهود الرامية إلى مكافحة التبغ، بما يشمل التنفيذ الكامل للاتفاقية الإطارية بشأن مكافحة التبغ، وسيزيد دعمنا لتنفيذ الاستراتيجية العالمية المعنية بالتغذية، والنشاط البدني، والصحة.

إن الأمن الصحي يمكن من جني منافع على الصعيد العالمي وصعيد المجتمع على حد سواء. وقد باتت الأمراض المستجدة تشكل أخطاراً تتهدد الصحة في شتى أنحاء العالم، وتتسبب أيضاً في صدمات اقتصادية واجتماعية. ومواجهة تلك الأخطار تعزز أمننا الجماعي. وإن المجتمعات أيضاً في حاجة للأمن الصحي. وهذا يعني تلبية المتطلبات الأساسية للصحة وهي توفر طعام كاف، ومياه مأمونة، ومأوى آمن، والحصول على الأدوية والرعاية الصحية الأساسية. ولابد لنا من تلبية هذه المتطلبات أيضاً عند الطوارئ أو حلول الكوارث.

وفي ما يتعلق بالأمن الصحي العالمي، فإنني أشاطركم ما تشعرون به من قلق بالغ بشأن التهديد الذي يلوح في الأفق والمتمثل في جائحة الأنفلونزا. إن هناك لوائح صحية دولية جديدة ستدخل حيز التنفيذ العام القادم. كما أن لدينا آليات قوية وفعالة للتنبه والتحذير من الفاشيات العالمية والتصدي لها. ولقد أُختبرت هذه الآليات وثبتت فعاليتها، وأقرب مثال على ذلك المتلازمة التنفسية الحادة الوخيمة، وأنفلونزا الطيور. ورغم ذلك، فإن هذه الآليات الدولية ليست كافية، ولاتزال المتطلبات والاحتياجات قائمة، سواء على الصعيد الوطني أو العالمي. إننا سنقوم بدعم البلدان في سعيها لبناء القدرات الوطنية في مجالات الوقاية، والتأهب، والمواجهة، والتأهيل.

إن تحسين التنمية الصحية والأمن الصحي يعني تحسين النظم الصحية. وفي ما يتعلق بالفاشيات، فلن يكون المجتمع الدولي بمأمن حتى تتوفر لدى البلدان قدرات أساسية للترصد والمواجهة. ولا ينبغي أن تكون هناك ثغرات أو مواطن ضعف في نظام الترصد العالمي.

إن النُظم الصحية هي السبيل إلى صحة أفضل. ولن تُجدي كل الأدوية التي يتبرع بها في العالم نفعاً دون وضع بنية أساسية تمكن من توصيلها إلى الناس. فمن غير الممكن إيتاء خدمات الرعاية الصحية، إذا ما انتقل العاملون الصحيون الذين يدربون في بلدانهم للعمل في بلدان أجنبية.

ونحن عندما نتحدث عن القدرات، فلابد بالقطع أن نتحدث عن أهمية الرعاية الصحية الأولية. إنها حجر الزاوية بالنسبة لبناء القدرات ضمن النُظم الصحية، كما أنها تعد ركيزة أساسية من ركائز التنمية الصحية، وأمن المجتمع الصحي. وإنني أعتزم الترويج للرعاية الصحية الأولية المتكاملة بوصفها استراتيجية لتعزيز النُظم الصحية. ويرجع السبب، ببساطة، إلى كونها مجدية وفعالة. وهذا هو السبيل الوحيد إلى ضمان الحصول على الرعاية الأساسية بشكل عادل وميسور التكلفة ومضمون الاستمرار للسكان كافة في مجتمع ما. ولدينا البينة على ذلك.

لقد جربت بنفسي هذا الأمر، فخلال عملي في هونغ كونغ، أدخلت نظام الرعاية الصحية الأولية من المهد إلى اللحد. وقد ركزت على مجالات تعزيز الصحة والوقاية من الأمراض، مع التركيز تركيزاً خاصاً، على جوانب الرعاية الذاتية، واتباع أنماط الحياة الصحية. وطوال فترة وجودي في المنظمة، زرت بلداناً مختلفة من حيث النُظم الاقتصادية، والثقافات، والأنظمة الصحية، ومعظمها كان في مراحل انتقالية. ولقد تعلمت العديد من الدروس وأصبح لدي الكثير من الخبرات التي يمكن أن يشاركني فيها غيري، في هذا المجال.

إن العالم لا يمكنه أن يصبح، بقدرة قادر، مكاناً ينعم فيه بالعدل والإنصاف في ما يتعلق بالصحة. فالسباق محتدم في ما يختص بالأدوية، بينما يتسم النمو في موارد الصحة العمومية بالبطء الشديد، وهذا يفضي إلى المزيد من عدم التوازن في شتى بقاع المعمورة. فبعض الناس ينعم بعمر مديد وصحة أفضل، بينما يقضي آخرون نحبهم قبل الأوان لأسباب يمكن توقيها. وهذا وضع غير صحي، سواء على صعيد أمن الناس أو العالم.

لقد سمعت كثيراً، خلال زياراتي لبلدان أمريكا اللاتينية، وأفريقيا، وأوروبا، وآسيا، عن مدى أهمية الرعاية الصحية الأولية. وكثير من البلدان الأفريقية يواجهها تحد يتمثل في إعادة إنشاء نُظم الدعم الاجتماعي. وهناك بلدان أخرى، في آسيا الوسطى وأوروبا الشرقية بصدد الانتقال من الاقتصاد الموجه إلى اقتصاد السوق. إن تلك البلدان بحاجة إلى دعم منظمة الصحة العالمية. ذلك أنها لا تريد أن تضحي، خلال تلك العملية، بالنُظم العادلة والمتاحة للجميع، والتي تقوم على مبدأ الرعاية الصحية الأولية. لقد ذكرتني هذه البلدان بأن الطب الشعبي يمثل عنصراً هاماً، ينبغي طرحه على بساط البحث، وأنا أُثني على ما تذهب إليه.

إنني بصفتي المدير العام للمنظمة سأطرح، كقضية عاجلة، موضوع هجرة العاملين الصحيين إلى الخارج، فالمشكلة خطيرة وحرجة، لكنها ليست مستعصية على الحل.

وفي ما يتعلق بمسألة المعلومات والمعرفة، فإن من الأهمية بمكان أن يتم الحصول على البينة على النحو الصحيح. وهذا ما فعلته المنظمة دائماً وتفعله على نحو جيد، إلا أنه يمكنها أيضاً أن تفعله بشكل أفضل. إن التحدي الماثل الآن هو جعل البينة تؤدي إلى حدوث التأثير السليم والمطلوب. إننا في حاجة إلى البينات من أجل دعم البلدان عند قيامها بوضع الأولويات، واختيار أفضل الاستراتيجيات كي يتسنى بلوغها وتحقيقها.

إنني سأعمل على تحقيق التكامل بين أنشطة البحث التي تضطلع بها المنظمة، بما يمكّن من اتباع برنامج مشترك على نحو أكثر استراتيجية في مجال البحث الصحي، كما سأقوم بتعزيز الجوانب المتعلقة بالشرعية، والجودة، والفعالية، في أنشطة وضع سياساتنا. إنني أريد إنشاء مرصد صحي عالمي لجمع المعطيات الخاصة بالمشاكل الصحية ذات الأولوية، ومقارنتها، وتعميمها.

وعندما تكون لدينا هذه الأدوات المسندة بالبينات، يصبح الحصول على العنصر المتمثل في العمل ضمن الشراكات أمراً أكثر سهولة. إن التعاون من أجل تحقيق المرامي الصحية العامة لم يعد اليوم مجرد مكسب من المكاسب، بل بات ضرورة ملحة. لذلك، يجب على منظمة الصحة العالمية وضع نهج إزاء التعاون يركز على إدارة القضايا المتنوعة والمعقدة.

وسوف نواصل تعاوننا على نحو استراتيجي مع الشركاء خدمة للصحة، بما يحقق تعزيز الشراكات مع المجتمع المدني والقطاع الخاص، وبما يؤدي إلى حدوث تنسيق أفضل بين هذه الشراكات. وسأعمل عن كثب مع شركائنا ضمن منظومة الأمم المتحدة لتحقيق الإصلاحات المطلوبة التي تؤدي إلى تعزيز فعالية منظمة الأمم المتحدة، لاسيما على الصعيد القطري.

ونأتي الآن إلى الأداء، وهو العنصر الأخير ضمن هذه العناصر، وهنا نواجه التحدي المتمثل في جعل أداء المنظمة أكثر كفاءة وأكثر فاعلية، وجعل الجميع على مستوى المنظمة يعملون في إطار مترابط، وزيادة الدافع لدى العاملين. وفي اعتقادي أن منظمة الصحة العالمية تقود جهود الأمم المتحدة في ما يختص بالإدارة القائمة على تحقيق النتائج، إلا أنه لايزال هناك سبيل ما لتحسين الجوانب المتعلقة بالمساءلة والشفافية. إنني

سأسعى أيضاً إلى التعجيل بإصلاح الموارد البشرية من أجل بناء أخلاقيات مهنية داخل المنظمة، تستند إلى الأداء ومن أجل تعزيز الافتخار بتحقيق النتائج الصحية.

سيدي الرئيس،

لقد سبق أن قلت بأنني فخورة جداً بالعمل في خدمة منظمة الصحة العالمية. فهي إحدى أكثر وكالات الأمم المتحدة تأثيراً. ولئن كانت الولاية الصحية التي نضطلع بها مسؤولية جسيمة، فهي تتيح لنا أيضاً أربع ميزات فريدة. وهذا هو مصدر قوتنا.

فالصحة تعتبر، أولاً، أحد الشواغل العالمية. والمسائل التي نتناولها تهم كل شخص على وجه المعمورة. وهي تعني كل دولة من الدول الأعضاء – مما يبرر ضرورة وجود وكالة صحية مثل وكالتنا هذه. وتتضمن كل صحيفة من كبرى الصحف قسماً مخصصاً للصحة، شأنها في ذلك شأن كل موقع إخباري مهم على الإنترنت. وسواء كنا نكافح ضد فاشية معينة أو نوصي بنظام غذائي صحي للقلب أو نعلن عن ظهور نوع جديد مميت من مرض السل أو نُطعم الأطفال أو نكشف عن صلة قائمة بين مادة كيميائية ومرض السرطان، فإن هذا العمل أمر بالغ الأهمية للعموم وللصحافة على حد سواء.

ويكسب هذا كله عملنا أهمية ويضفي علينا قيمة عالمية. ومنظمة الصحة العالمية كما جاء في إحدى الصحف الرائدة في الأسبوع الماضي فقط، قد أُنيطت بها مهمة عالمية الأبعاد حقاً.

ونحن، من ناحية ثانية، نستخدم المنهج العلمي. فالمشاكل الواردة ضمن ولاية منظمة الصحة العالمية تخضع للتمحيص العلمي، كما أننا ننتهج أساليب قوية للحصول على الأدلة. فنحن قادرون على كشف العوامل المسببة للمرض وهي في أوج نشاطها بنظرة في المجهر، بل وعلى تحديد علة من العلل حتى على المستوى الجزيئي. وتسمح لنا الأدوات المستخدمة في الكشف عن الأوبئة بربط عوامل نمط الحياة بتزايد خطر الإصابة بالمرض. ونحن نتمتع بالقوة ذاتها التي تملكها العلوم الاجتماعية في النظر في مشاكل عديدة نظرة ترتكز على عامل سلوكي. ونحن قادرون على أن نثبت أن عاملاً ما يسبب مرضاً ما، أو أن دواء ما يشفي منه، أو أن لقاحاً ما يقي منه. فنحن قادرون على معرفة المسببات. كما أننا قادرون على تقديم الدليل.

هذا هو ما يمنحنا النفوذ الذي نتمتع به من الناحية التقنية. فأدلتنا كاملة الإقناع وتوجيهنا يحظى بثقة مطلقة.

ثالثاً، يقوم عملنا على نظام قيم واضح ومشترك. ذلك أننا نتقاسم الدعامة الأخلاقية المتينة التي تنبني عليها مهنة الصحة. وهي مهنة همها الرعاية والعلاج وقوامها العلم، وهي مكرسة للحيلولة دون المعاناة الإنسانية والتخفيف منها.

وهذا هو ما يضفي علينا سلطتنا الأخلاقية، ويقيم لنا أنبل نظام من القيم الأخلاقية.

وأخيراً، ولما كانت محددات الصحة متشعبة، فإن بإمكاننا أن نقود مساراً متعدد الاتجاهات لتحقيق التنمية والأمن الصحيين يشمل قطاعات عديدة إلى جانب قطاع الصحة.

وهذا هو منبع التزامنا في هذا الصدد. وهو ما يمنحنا القدرة على تتبع الأسباب الجذرية الكامنة وراء المشاكل التي نواجهها، وبناء أسس صحة جيدة دائمة لشرائح عريضة من السكان، والانتقال من نهج علاجـي إلى نهج وقائي، واستخدام الصحة بوصفها أداة أساسية لنجعل من هذا العالم مكاناً أفضل للإنسانية جمعاء.

إننا على ذلك قادرون.

وعندما أفكر في هذه الميزات الفريدة، تتضح أمامي معالم ما يجب على منظمة الصحة العالميـة أن تضطلع به، وما نحن قادرون على إنجازه، وما لا ينبغي لنا فعله.

إن العلم والأخلاق يمليان علينا ما يجب علينا فعله. فعندما ندرك، بناء على أدلة دامغة، أبعاد مـشكل معين والأسباب الكامنة وراءه، ونملك الأدوات للوقاية أو العلاج أو الشفاء، فإننا يقع علينا واجب أخلاقي يحتم علينا اتخاذ ما يلزم من إجراءات. وقد أشرت إلى المرامي الإنمائية للألفية. وإن تحقيقها وتحقيق أهداف أخرى متعلقة بالصحة قد اعتمدتموها، هو أحد الأمور الأخرى التي يتعين على منظمة الصحة العالمية القيام بها.

كما يجب على المنظمة اتخاذ الإجراءات اللازمة متى ما أُغفِلَ التصدي لمشكلة صحية مـا. ولـدينا مبادرات عديدة مثيرة للإعجاب وتحرز تقدماً في إطار مكافحة أمراض مدارية قديمة. وهي أمراض تدمر حياة الملايين من الناس، لاسيما الفقراء المدقعين.

وها هنا شيء آخر علينا القيام به. فيجب علينا أن نتخذ الإجراءات اللازمة عنـدما تكـون المـشكلة خطيرة بيد أننا مازلنا لا نملك جميع الأدوات. وفي عام ١٩٥٠، كانت المنظمة تعنى بأولويات ثلاث رئيـسية هي الأمراض المنقولة جنسياً والملاريا والسل. ولو وضعنا الأيدز والعدوى بفيروسه محل الأمراض المنقولـة جنسياً، لاتضح أن دار لقمان لاتزال على حالها.

ويجب على المنظمة أن تؤثر في برنامج عمل البحوث والتنمية. ذلك أنه سيتعذر علينا قطع أشـواط بعيدة فيما يتعلق بهذه الأمراض وغيرها ما لم تكن لدينا لقاحات وأدوية وأدوات تشخيص جديدة. كما أن علينا إيجاد التوازن اللازم بين حماية حقوق الملكية الفكرية والحصول على الأدوية الضرورية الميسورة التكلفة. إن هذا الأمر ليس بالهين! ولكن ما لنا منه مفر.

وفيما يتعلق بما يمكن لمنظمة الصحة العالمية القيام به، يمكننا تعميق أثرنا عبـر اسـتخدام أهميتنـا وسلطتنا العلمية وأخلاقنا والتزامنا الواسع النطاق لوضع برنامج للعمل الصحي العالمي يكون ذا حجة منطقية لجميع الأطراف الفاعلة في مجال الصحة العمومية اليوم. ومن بين تلك الأطراف الوكالات الشقيقة في الأمـم المتحدة والمنظمات غير الحكومية والمجتمع المدني والمؤسسات ووكالات التمويـل والمـصارف الإنمائيـة والقطاعان الخاص والعام. فعندما نملك أدوات مثل هذه، يمكننا إضفاء قدر أكبر من التناسق على الـشراكات المتعددة العاملة ضمن البلدان.

وأصل الآن إلى الحديث عما لا ينبغي لنا إتيانه. فلا يجب علينا أن نشتت مواردنا، والمغريات عظيمة في هذا الصدد. ذلك أن محددات الصحة لها أبعاد واسعة وأن الفرص عديدة. وعلينا أن ندرك ما نتحلى به من مزايا مقارنة بغيرنا وأن نتمسك بتنفيذ الأنشطة التي لا يبز منظمة الصحة العالمية فيها أحد ونحن أولى بها من غيرنا. وقد سمعتُ دعوات متكررة وجهت إلى المنظمة للتركيز على فئة من الوظائف الرئيسية فـي مجـال الصحة العمومية. ولا يجب علينا أن نكرر عمل غيرنا. كما لا يجب علينا أن نحاول القيام بكل شيء بمفردنا.

وإنني أعتقد اعتقاداً راسخاً أن منظمة الصحة العالمية لا ينبغي لها أن تتبع نهجاً شاملاً بل إننا بحاجة، بحق، إلى النظر فيما هو مطروح والقيام بكل ما في وسعنا حتى يتم تحقيق التوازن في مجال الصحة العمومية. ويمكننا فعل ذلك أيضاً من خلال استخدام خبرتنا التقنية التي نحسد عليها لتوجيه برنامج العمل العالمي وضمان اتباع أفضل الممارسات التي يمكن أن يستحدثها العلم.

وليست منظمة الصحة العالمية وكالة تنفيذية تعمل داخل البلدان، ولكنها قادرة على دعم تحديد الأولوية القطرية والملكية القطرية والمسؤولية القطرية. وإنني على اقتناع بأن البلدان تدرك أولوياتها. ويمكن للمنظمة أن تقدم المشورة بشأن النهج المناسبة تقنياً للنظر في تلك الأولويات وأن تساعد على تعبئة الموارد.

هذا إذن هو مصدر قوتنا الفريد بوصفنا منظمة صحية. وهذه الميزات تمنحنا القدرة على تحقيق أكبر قدر من النتائج وأفضلها من أجل توفير الصحة.

السيد الرئيس،

لقد ازدادت رؤيتي للمنظمة وضوحاً وانبلاجاً على مدى الأشهر الثلاثة المنصرمة، زرت فيها عدداً من البلدان، وتحدثت إلى المسؤولين والعاملين الصحيين في المستوصفات، وشهدت بأم عيني الإنجازات التي تعكفون على تحقيقها برغم المصاعب التي كثيراً ما تواجهونها أثناء القيام بذلك وهي مصاعب تجل عن الوصف. وكانت تجربتي مثيرة في هذا الميدان ولا أملك إلا أن أشعر بأنها عرفتني قدر نفسي وحدودها.

وسوف أتشاور مع المزيد من البلدان والشركاء خلال الأسابيع والأشهر المقبلة لمواصلة إيضاح رؤيتي هذه، إذ أود أن أستأنس بآراء خبراء يمثلون عدة تخصصات ومدارس فكرية من طائفة واسعة من البلدان وأن أستمع إلى ما ترويه لنا القواعد الشعبية التي يضمها المجتمع المدني.

إنني أتطلع إلى إجراء مباحثات مع موظفي المقر الرئيسي، وموظفي مكاتبنا الإقليمية والقطرية. وإن لي - عندكم وعند الشعوب التي تمثلونها – دين علي أن أقضيه ألا وهو أن أضع الأمور في نصابها. وسأتولى زيادة تبيان رؤيتي هذه المنقحة عند انعقاد جمعية الصحة في أيار/ مايو.

وختاماً، أود أن أذكر بعداً إضافياً آخر من الأبعاد التي تدخل في توصيف وظيفتي الجديدة عندما وقّعت العقد. فكلنا نعرف أن المشاكل التي تواجهها المنظمة في سعيها إلى تحسين الصحة على صعيد العالم لا تخضع جميعها للتدقيق من الناحية العلمية، أو تفشي أسرارها تحت عدسة المجهر، وأنتم تعرفون الجوانب التي أعنيها، وهي: قلة الموارد وضآلة الالتزامات السياسية المقطوعة، وهي غالباً "قواصم الظهر" الحقيقية.

هذا ما يمكنني أن أقوم به شخصياً: إدارة المنظمة على نحو يضمن استقطاب الموارد، ويبعث على الثقة، ويحثّ جميع الأطراف على قطع الالتزامات. وسوف أحتكم إلى جوانب الرحمة والحماس في سوق الحجج دفاعاً عن الإنسانية، وأستفيد من ثقل البينات والعلوم والأخلاقيات الإنسانية في إقناع الآخرين.

إننا بحاجة إلى التأثير في قلوب الناس وعقولهم - بالاستناد إلى المبادئ الأخلاقية في استمالة قلوبهم وإلى العلوم الصحيحة في كسب عقولهم. وإذا ما استملنا قلوبهم وكسبنا عقولهم، وبعثنا روح الثقة في المانحين، عندها نكون قد سرنا على الطريق المستقيم من أجل مقارعة هذين "الجانبين الفتاكين المتعاقبين" - ألا وهما قلة ما في اليد وقلة الاكتراث.

وهذا أمر بمقدوري أن أحققه.

وليس لدي سوى مثال واحد أخير أضربه ها هنا. ففي الأيام الأولى التي شهدت نشوء هذه المنظمـة، كانت هناك سلسلة من الرسوم الكارتونية عنها، وهي قصة حقيقية لرواية المغامرات المصورة نُشرت في عدد من الصحف التي صورت المنظمة في هيئة طبيب بزي سوبرمان يرتدي سترة بيضاء سابغة مـن الـسترات المستعملة في المستشفيات ويحمل سماعة براقة، ويطير من بلد إلى آخر لمكافحة المكروبات الطافرة والقاتلة. وشتان ما بين الأمس البعيد وما نراه اليوم!

وبطبيعة الحال، لايزال لدى المنظمة خبراء متخصصون في الوبائيات ممن يسافرون جواً إلى مناطق الفاشيات ويفعلون ما بوسعهم لمكافحة المكروبات الفتاكة، وهم حتماً الأبطال الوحيدون العـاملون مـن أجـل الصحة. وقد شاهدت الكثير خلال مسيرة عملي في ميدان الصحة العمومية التي بلغت ٣٠ عامـا، وشـاهدت المزيد أثناء الزيارات التي قمت بها مؤخرا إلى بلدان معينة.

إن الأبطال الحقيقيين في هذه الأيام هم العاملون الصحيون الذين تحفزهم سماتهم على السعي من أجل شفاء الناس والشفقة عليهم. وهؤلاء عازمون كل العزم على إنقاذ الأرواح وإزالة المعاناة، وهم يؤدون عملهـم بتفان يثير الإعجاب، وهم غالباً ما يقومون بذلك في ظروف صعبة. والعالم بحاجة إلى أضعاف مضاعفة منهم.

وأشكركم على تعييني في هذا المنصب الرفيع، كما أشكر أبطالنا – من العاملين الصحيين في شـتى أرجاء العالم - على كل ما يقومون به.

إننا، بعملنا معاً كيد واحدة، سوف ننجح في مهمتنا وننجز ما علينا إنجازه خدمة للـصحة. وسـوف نجعل هذا العالم مكاناً ينعم فيه الناس بموفور الصحة.

وشكراً لكم.

= = =